# الجَسْرُ اللُغَويّ فِي كِتَابِ سِيبَوَيهِ دِرَاسَةٌ المَفْهُومِ وَالمِصْدَاقِ

**أ.م.د. ظافر عبيس عناد الجياشي**

**كلية التربية الأساسية /جامعة المثنى**

dhafeer.alrubeaai@mu.edu.iq

**الملخص**

حفلتِ المدوَّنةُ اللغوية عامّة والنحويَّةُ خاصّة بمفاهيم عدَّة فسَّرت العلل المرافقة لكثيرٍ من الظواهر اللغويَّة، واستثمر المحدَثون ما توارثوه من أسلافهم ورتَّبوا على تلك المفاهيم، أو المقولات نظريات لغويَّة عبَّدت الطريق لمسيرة الدرس اللساني الحديث.

وكان لكتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) النصيبُ الأكبرُ في الإشارة إلى تلك المفاهيم، فهو بلا شكٍّ سِفرٌ عظيمٌ لم يزل الباحثون ينقبون فيه، ويقفون على ما اكتنزه من درر نالت إعجاب الأولين والآخرين.

ومن تلك الإشارات التي حفل بها كتاب سيبويه مصطلح (الجَسْر)؛ إذ ورد في كتابه مع الأصوات المعتلة (الصائتة)، والأصوات الصحيحة (الصامتة)، واستعمله . أي المصطلح . بصيغة الماضي (جَسَروا)، والمضارع (يجسرون، لم يجسروا)، ولم يعثر الباحث بحسب تتبعه من بحث هذا المصطلح (الجَسْرُ اللُغَويّ) بمفهومه الدقيق، وأدواته، ومباحثه، فتكفل الباحث بذلك .

وكان سيبويه دقيقاً في إطلاق مصطلحاته، فتارة يصف الصوت بالميت إذا كان ساكناً، ويصفه بالحي إذا تحصن بالحركة التي تمنع من أن يُجسر عليه، وبيَّن الحالات التي يُجسر فيها على بعض الأصوات، وما لا يُجسر عليه.

وهذا البحث سيتكفَّلُ بالإشارة إلى هذا المفهوم (لغةً واصطلاحاً)، وبيان مواضعه، والغرض منه، وأسبابه.

الكلمات المفتاحية: (الجَسْرُ اللُغَويّ، كِتَابِ سِيبَوَيهِ).

# The Linguistic Bridge in Sibawayh's Book: A Study of Concept and Correlation

**Dr. Dhafer Abis An'ad Al-Jayashi**

**College of Basic Education / Al-Muthanna University**

**dhafeer.alrubeaai@mu.edu.iq**

## Abstract

The linguistic corpus in general, and the grammatical corpus in particular, is replete with several concepts that explain the causes associated with many linguistic phenomena. Modern scholars have capitalized on what they inherited from their predecessors and based these concepts or propositions on linguistic theories that paved the way for the development of modern linguistic studies. The book of Sibawayh (d. 180 AH) had the largest share in referring to these concepts. It is undoubtedly a great book that researchers continue to delve into, uncovering its treasures that have won the admiration of ancient and modern scholars. Among the references that Sibawayh's book is the term "bridge." It appears in his book alongside both vowel sounds and consonant sounds. He used the term in the past tense (jasraw) and the present tense (yajsurun, lam yajsuru). However, despite his extensive research, the researcher did not find a precise definition of the term "linguistic bridge," including its tools and topics. This is why the researcher has undertaken this task. Sibawayh was precise in his terminology. He sometimes described a sound as "dead" if it was silent, and described it as "alive" if it was protected by a vowel that prevented it from being bridged. He also clarified the situations in which certain sounds are bridged and those in which they are not.

This research will address this concept (linguistically and technically), explaining its context, purpose, and reasons.

Keywords: (linguistic bridge, Sibawayh's book).

**التمهيد:**

**الجسر: قراءة مفاهيمية في المصطلح**

ورد مصطلح الجسر في المعجمات اللغوية بمعان عدة، منها الدلالة على القوة والجرأة، يقول ابن فارس (٣٩٥ هـ):"(جَسَرَ) الجيم والسين والراء يدل على قوة وجرأة، فالجسرة: الناقة القوية، ويقال هي الجريئة على السير، وصلب جسر أي قوي "[١]

وعلى الجرأة، يقول الزمخشري (٥٣٨ هـ):"رجل جسور، وفيه جسارة، وقد جسر على عدوه، ولا يجسر أن يفعل كذا، وإن فلاناً يشجع أصحابه ويجسرهم، وتجاسرت على كذا: تجرأت عليه، وإنك لقيل التجاسر علينا"[٢]، وعلى الإقدام والشجاعة، يقول ابن منظور (ت ٧١١ هـ):"جَسَرَ يجسرُ جسوراً وجسارة مضى ونفذ على كذا يجسرُ جسارةً وتجاسر عليه أقدم، والجَسُورُ المقدام، ورجلٌ جَسْرٌ ماضٍ شجاعٌ، والأُنثى جَسْرَةٌ وجَسُورةٌ"[٣].

والرابط بين هذه المعاني الإقدام على فعل شيء نتيجة لاجتماع أسباب دعت إلى القيام بهذا الفعل، ولولا ذلك لمَا تجرأ المُقدِمُ على تحقيقه ووقوعه.

وأما في الاصطلاح فيُراد به من وجهة نظر لغويّة ـ وهو ما سيثبته البحث ـ اجتراء المتكلّمِ على بعض الأصوات بأنْ يجري عليها تغييرات معينة لتحقق الظروف الصوتية المناسبة لذلك؛ فيعمد مثلاً إلى أن يحذف بعضها أو يقلبها، أي أن الجسر يتحقق في الظواهر الصوتية شريطة تحقق المناخ الصوتي المناسب لوقوع الظاهرة الصوتية.

وفي قبال ذلك هناك ما يمنع المتكلم من أن يجرؤ على أي تغيير في بعض الأصوات؛ لانعدام الظروف الصوتية المناسبة لذلك التغيير، وهو ما يحصل مع الأصوات الصامتة.

وأحسبُ أنَّ الجسر ـ في حال تحققه ـ يتقاسمه أمران (نفسي، ولغوي)، فأمَّا النفسيُّ فهو يمثِّلُ جرأة المتكلم على التغيير نتيجة تحقق الظروف المناسبة لذلك، وأمَّا اللغويُّ فهو يمثِّلُ ميل المتكلِّم للخفَّة في النطق، والبعد عمَّا يثقل اللسان.

**أولاً: مواضعه**

لم يستعمل سيبويه مصطلح (الجسر) في موارد الأصوات المعتلة (الصائتة) فحسب، بل نجده يستعمله أيضاً في موارد الأصوات الصحيحة (الصامتة)، وفيما يأتي بيان ذلك:

**أ) الجسر على مستوى الأصوات المعتلَّة (الصائتة):**

**١/ الألف:**

يصف سيبويه صوت الألف بأنه ميت بقوله: "وأمَّا الممدود، مصروفاً كان أو غير مصروف، كثر عدده أو قلَّ، فإنه لا يحذف، وذلك قولك في خنفساء: خنفساويٌّ، وفي حرملاء: حرملاويٌّ، وفي معيوراء معيوراويٌّ؛ وذلك أنَّ آخر الاسم لما تحرك وكان حيّاً، يدخله الجر والرفع والنصب صار بمنزلة: سلامان وزعفران، وكالأواخر التي من نفس الحرف نحو: احرنجامٍ واشهيبابٍ، فصارت هكذا كما صار آخر معزى حين نون بمنزلة آخر مرمى، وإنَّما جسروا على حذف الألف، لأنَّها ميتة لا يدخلها جر ولا رفع ولا نصب؛ فحذفوها"(٤).

وهذا النص يشير صراحة إلى مقارنة واضحة بين الصوت الميت (أي ما لا يدخله الجر والرفع والنصب) وهو الصوت الساكن، والصوت الحي (أي ما يدخله الجر والرفع والنصب) وهو الصوت المتحرك.

وتأتي الألف في مقدمة الأصوات ضعفاً لسكونها، وموتها، وخفائها(٥)، وبقائها على حالة واحدة مهما تغير موقعها في الكلمة، وهذا ما جعلها عرضة للجسر؛ فليس ثمة ما يدعو إلى صمودها أمام التغيرات الصوتية واجتراء المتكلم عليها.

ومن هنا عُدَّ الصوت الميت ميداناً خصباً للحذف أو القلب، يقول سيبويه:"فإنَّما يجسرون بهذا على هذه الحروف الميِّتة"(٦).

والأمثلة على حذف الألف كثيرة في كتاب سيبويه، وسأكتفي بذكر حالة من حالات حذفها، منها ما ذكره بقوله " ... معزى حين نون بمنزلة آخر مرمى، وإنَّما جسروا على حذف الألف لأنَّها ميتة لا يدخلها جر ولا رفع ولا نصب فحذفوها"(٧)، إذ تحذف في الاسم المقصور إذا نُوِّن في حالة الوصل، فلا يخلو من حالات الإعراب الثلاث (الرفع، والنصب، والجر)

فيلتقي حينئذٍ ساكنان، والمحذوف على رأي سيبويه الألف؛ لما اشتملت عليه من صفات جعلتها صوتاً ميتاً.

والألف أولى بالحذف لثلاثة أسباب(٨):

ـ الأول: إنّ التنوين دخل لمعنى، ويزول بزوال ذلك المعنى، وليست الألف كذلك؛ لأنها لام الكلمة.

ـ الثاني: إنّ الألف إذا حذفت بقي قبلها ما يدل على الألف المحذوفة، وهي الفتحة قبلها، وليس على حذف التنوين دليل.

ـ الثالث: إنّ الساكن الأول هو المانع من النطق بالثاني، فكان حذفه هو الوجه لإزالة المانع.

ويفسِّر المحدثون ما حصل في ضوء نظرية المقاطع الصوتية بتفسيرين:

أحدهما: ما ذكره الدكتور عبد الصبور شاهين، إذ يرى أن المقصور في حالة التنكير ينون آخره، فيقال (فتىً) بإسقاط الألف نطقاً، وهو في الحقيقة اختصار للفتحة الطويلة مع إقفال المقطع بنون ساكنة هي التنوين(٩).

والآخر: ما ذكره الدكتور فوزي الشايب، إذ يرى أن الحاصل اختزال الحركة الطويلة في الأسماء المقصورة عند تنوينها تجنباً للمقطع المديد (ص ح ح ص)؛ فتتحول إلى مقطع طويل مغلق (ص ح ص)(١٠).

غيرَ أن وصف الألف بالسكون، وأنها مسبوقة بحركة من جنسها لم تؤيده الدراسات الصوتية الحديثة؛ ذلك أنها حركة طويلة؛ فلا توصف بأنها ساكنة، وليست مسبوقة بحركة من جنسها(١١).

ويرى بعض المحدثين أن علماء العربية القدماء انخدعوا بطريقة الكتابة العربية التي تضع حركة قبل حروف المد (الألف، والواو، والياء) وسكوناً فوقها لاعتبارات كتابية لا صوتية محضة(١٢).

ولعل ما يسوغ ذلك ما نجده من وجهة نظر كتابية؛ إذ ترسم علامات الحركات قبل حروف المد مع وضع علامة السكون عليها، من ذلك (بَأْع، نبِيْع، نقُوْل)، فرسم تلك الحركات

(العلامات) قبل حروف المد، والسكون فوقها بمثابة علامات تمييزية لتحديد دلالة أي منها(١٣).

ويرى الدكتور جعفر دك الباب أن وصف القدماء للألف وحروف المد بنحو عام بالسواكن يُقصدُ به"الإشارة إلى إشباع لفظة حركة المتحرك يشبه السكون من حيث أن الإشباع كالسكون لا يؤدي إلى ظهور مقطع صوتي جديد بل قد يؤدي إلى تغيير وصف المقطع"(١٤).

**٢/ الواو:**

أشار سيبويه إلى أن الواو يُجسرُ عليها، ومن ذلك أنها تُقلبُ ياءً لا لياءٍ قبلها ساكنة، ولا لسكونها وبعدها ياء، ولا فرق في ذلك بين المصدر نحو (حالت ـ حيالاً)، وأصلها (حِوالاً)، والجمع نحو (سوط وسياط)، و (ثوب وثياب)؛ ففي المصدر يقول سيبويه:"وذلك قولك: حالتْ حِيالًا، وقُمتُ قِيامًا، وإنّما قلبوها حيث كانت معتلّةً في الفعل، فأرادوا أن تعتلَّ إذا كانت قبلها كسرة وبعدها حرف يشبه الياء، فلمّا كان ذلك فيها مع الاعتلال لم يُقرّوها؛ وكان العمل من وجهٍ واحد أخفَّ عليهم، وجَسَروا على ذلك للاعتلال"(١٥)، أي أن الجسر على الواو لم يتحقق لولا اعتلالها في الفعل؛ فلو صحَّت الواو في أفعال هذه المصادر لم تعتل هنا(١٦)، فاللغة تعمد إلى حمل بعض ألفاظها على بعض طلباً لتماثلها، وتشاكلها من حيث أن حكمها من جنس واحد(١٧).

ولمَّا كانت الكسرة والياء من جنس واحد؛ فإن هذا القلب يحقق خفة في الكلام، وهذا ما يوفره القلب في هذا الموضع؛ لذا وصف سيبويه ذلك بأنه عمل من وجه واحد وهو أخف على المتكلم، إذ إن البقاء على الواو في هذا النسق الصوتي (ـِ و ـَ) يسبب ثقلاً نطقياً، إذ"وقعت الكسرة وهي حركة قصيرة في نهاية مقطع متلوة بمقطع آخر مبدوء بواو وهي نصف حركة، وهذا يستدعي انتقالاً مباشراً من منطقة نطق الكسرة، وهي منطقة أمامية... إلى منطقة نصف الحركة الواو، وهي منطقة خلفية... ولا شك أن هذا الانتقال مع ما يصاحبه من آلية استدارة وانفراج للشفتين ينطوي نسبياً على شيء من الصعوبة نظراً لكونه انتقالاً بين أصوات متخالفة"(١٨).

وقد حافظ هذا القلب على صيغة الكلمة وأحدث تجانساً في الأصوات[١٩]؛ فعمد المتكلم إلى الجسر على هذه الواو على الرغم من تحصنها بالحركة، فهي لم تكن ميتة ساكنة ضعيفة كالألف، ولكنها وقعت في سياق صوتي جعلها عرضة للتغير.

وأما في الجمع فيقول سيبويه:"ومثل ذلك: سوطٌ وسياطٌ، وثوبٌ وثيابٌ، وروضةٌ ورياضٌ، لمَّا كانت الواو ميتةً ساكنةً شبهوها بواو يقول؛ لأنَّها ساكنة مثلها، ولأنَّها حرف الاعتلال،...، وأما ما كان قد قلب في الواحد فإنه لا يثبت في الجمع إذا كان قبله الكسر، لأنَّهم قد يكرهون الواو بعد الكسرة حتى يقلبوها فيما قد ثبتت في واحده، فلمَّا كان ذلك من كلامهم ألزموا البدل ما قلب في الواحد، وذلك قولهم: ديمةٌ وديمٌ، وقامةٌ وقيم، وتارةٌ وتير، ودارٌ وديارٌ، وهذا أجدر أن يكون إذ كانت بعدها ألف، فلمَّا كانت الياء أخفَّ عليهم والعمل من وجه واحد، جسروا عليه في الجمع، إذ كان في الواحد محولاً، واستثقلت الواو بعد الكسرة كما تستثقل بعد الياء"[٢٠].

وقد جمع سيبويه في قوله هذا ما كان في مفرده الواو معلَّة أو شبيهة بالمعلَّة، والفرق بينهما أن الأخيرة تأتي ساكنة في المفرد وبعدها في الجمع ألف[٢١]، ومثالها (سوط، وجمعها سياط)، و(حوض، وجمعها حياض)، ومثال المعلَّة (دار، وجمعها ديار)، و (ديمة، وجمعها ديم).

ومن أسباب هذا القلب اللغوي ما يأتي:

ـ اعتلال الواو في هذه الصيغ، وهذا ما يجعلها عرضة للتغيير.

ـ سكون الواو في المفرد (سياط مفردها سوْط)، و(حياض مفردها حوْض).

ـ كراهة وقوع الواو إثر كسرة، فيعمد المتكلم إلى قلب الواو ياءً فيكون عمل اللسان من وجهٍ واحدٍ، وهذا أخفُّ عليهم؛ فنطق الياء بعد كسرة أخفُّ على ألسنتهم من نطق الواو بعد كسرة؛ لأنَّ هذا ثقيل ينفرُّ منه الناطق؛ فيجسرُ على قلب الواو ياءً.

ومبدأ العمل من وجه واحد فيه إشارة إلى عمل اللسان ووضعه الحركي أثناء النطق بالكلمة أو الكلمات، وهو مبدأ عبَّر عنه المحدَثون بـ (قانون الجهد الأقلّ)، فالمتكلم يحاول

تحقيق حد أعلى من الأثر بحد أدنى من الجهد المبذول، ولهذا يحاول أنْ يتجنَّبَ التحرُّكات النطقيَّة التي يمكن الاستغناء عنها(٢٢).

وجدير بالذكر أنه إذا كانت الواو شبيهة بالمعلّة . في المفرد . فإنّها لا تُقلب ياءً إلا أن تقع الألف بعدها، أمّا إذا كانت الواو معلّة في المفرد، فإنّها لا يُشترط لقلبها وجود الألف، وإنّما هو أجدر(٢٣).

يقول سيبويه:"وهذا أجدر أن يكون إذ كانت بعدها ألف"(٢٤)، وأما قوله:"وأمّا ما كان قد قُلب في الواحد فإنّه لا يثبت في الجمع إذا كان قبله الكسر، لأنّهم قد يكرهون الواو بعد الكسرة حتى يقلبوها فيما قد ثبتت في واحدهِ، فلمّا كان ذلك من كلامهم ألزموا البدل ما قُلب في الواحد، وذلك قولهم: دِيمَةٌ ودِيَمٌ..."(٢٥)، ففيه إشارة إلى ثانوية الألف فيما كانت فيه الواو معلّة في مفرده(٢٦).

ويشير ابن الحاجب إلى تلك المسألة بقوله:"فيجوز أن يكون الإعلال في الجمع لسكونها في الواحد والكسرة والألف كما أعلّوا نحو: رِياضٍ وثِيابٍ، ويجوز أن يكون لأجل الإعلال في الواحد والكسرة من غير ألف كما أعلّوا نحو: (تِيَرٍ) جمع تارَةٍ، و(دِيَمٍ) جمع دِيمةٍ، وإذا احتمل الأمرين واشتملهما فليس إلغاء أحدهما بأولى من الآخر، وهما في ذلك بمنزلة علّتين إذا اجتمعتا، فإنّ الحكم عند المحقّقين يُنسب إليهما جميعاً، ويصيران عند اجتماعهما كجزأي علّة"(٢٧).

والناظر في كلام سيبويه يرى أنه أطلق مصطلح (الميتة الساكنة) على الواو في حالة الجمع كـ (سوط ـ سواط ـ سياط)، فضلاً عن اعتلالها، ولم يطلق هذا الوصف على الواو في حالة المصدر كـ (حالت ـ حوالاً ـ حيالاً)؛ إذ اكتفى بوصف الواو بأنها معتلة.

وقد فسَّر الدرسُ الصوتيُّ الحديثُ ما حصل في نحو (سِواط ـ سِياط) بتفسيرين، أحدهما: قلب قاعدة المقطع الثاني (الواو) كسرةً، أي: س ـِ / ـِ + ـً ط، فيحدث الانزلاق بينها وبين الفتحة الطويلة لتكوين الياء، أي: س ـِ / ي ـً ط (٢٨) .

والسبب في هذا القلب هو الهروب من ثلاثية الحركة إلى ثنائيتها، أي: عدول عن تتابع الكسرة والفتحة (٢٩)، وهو رأيٌ فيه نظر من جهتين، الأولى: من جهة النسبة إلى ثلاثية

الحركة، والثانية: من جهة الآلية التي وضعت، إذ أدَّت إلى صورتين غريبتين لا يمكن أنْ تعبِّرا عن البنية [٣٠].

والآخر: قلب قاعدة المقطع الثاني (الواو) ياءً، فلمَّا توافرت الكسرة قبل الواو والألف بعدها (ـِ و ـً) صار حقَّاً على الواو ضمن هذا النسق الصوتي أنْ تُقلبَ إلى الياء فيتحقَّق العمل من وجهٍ واحدٍ ممَّا يؤدِّي إلى الخفَّة في الأداء، فقلب الواو ياءً يُعدُّ ضرباً من إعادة إنتاج نسقٍ صوتيٍّ مشوَّهٍ، فلمَّا كانت الكسرة لا يحجزها عن الواو حاجز جسروا عليها فقلبوها ياءً[٣١]، فضلاً عن أنَّ الواو أشبه بالصوامت في هذا النسق الصوتي فأُحِيلَتْ إلى ما ينسجم معه فكانت الياء مُنقلَباً، وعادة المؤدِّي في تغليب الأخف على الأثقل، وقد تيسَّر الأمر له في هذا النسق مع صوت الواو المعلِّ أصلاً [٣٢]، وقد بقيت الواو من وجهة نظر المحدثين ضعيفة في هذا الموضع؛ لأنها وقعت بين مصوّتين[٣٣].

**٣/ الياء:**

ذكر سيبويه أن الياء يُجسرُ عليها في بعض المواضع، من ذلك أنه ربط بين الجسر على الألف والياء بقوله:" وإنَّما جسروا على حذف الألف... كما حذفوا ياء ربيعة وحنيفة، ولو كانت الياءان متحركتين لم تحذفا لقوة المتحرك، وكما حذفوا الياء الساكنة من ثمانٍ حيث أضفت إليه؛.... فإنَّما يجسرون بهذا على هذه الحروف الميتة"[٣٤].

أي أن السبب الرئيس في حذف الياء من (ربيعة، وحنيفة) عند النسب سكونها، ومن ثمَّ ضعفها، وهذا ما يجعلها عرضة للجسر من قبل المتكلم فيعمد إلى حذفها.

وحذف الياء في (فعيلة) له شرطان [٣٥]:

أحدهما: أنْ تكونَ عين الكلمة غير مضعَّفة.

والآخر: أنْ تكونَ صحيحةً إذا كانت اللام صحيحة.

ويقول في موضع آخر مشيراً إلى النسب إليهما:"فلما اجتمع في آخر الاسم تغييره، وحذف لازم لزمه حذف هذه الحروف، إذ كان من كلامهم أن يحذف لأمر واحد؛ فكلما ازداد التغيير كان الحذف ألزم، إذ كان من كلامهم أن يحذفوا لتغيير واحد"[٣٦] .

وفي هذا إشارة إلى الربط بين ما حذف من آخر الكلمة والياء الساكنة، إذ تحذف الهاء، ثم ياء فعيلة، لأن الأخيرة مستثقلة، وقد حصل في الكلمة أسباب"أوجبت ثقلها، وهو أنه اجتمع فيها ياء (فَعِيلة) أو (فُعَيلة)، مع كسر ما قبل علم النسبة، وياءي النسبة، وكل ذلك من جنس واحد"(٣٧)، إذ لو بقيت الكلمة على (فعيلي) لاستولى الكسر مع الياء على أكثر حروف الكلمة(٣٨).

وعُدَّ ذلك ضرباً من المخالفة عند المحدثين؛ إذ تتابعت الكسرات مع الياء المشددة فخولف بينها باستبدال الفتحة بالكسرة، واتخذت المخالفة في النسبة إلى فعيلة ثلاث صور، هي: (فَعيليّ ـ فَعاليّ ـ فَعَلِيّ)، فالكسرة الطويلة حلت مكانها فتحة طويلة، ثم اختُزِلَت الفتحة الطويلة فانتهى بها الأمر إلى (فَعَلِيّ)(٣٩).

**ثانياً: الجسر على مستوى الأصوات الصحيحة (الصامتة)**

هنالك سياقات لغوية امتنع فيها الجسر؛ لانعدام الظروف المناسبة له، وهذا يختص بالأصوات الصامتة؛ إذ لم يُجسر عليها بأي تغيير، ومن ذلك:

**ـ امتناع إبدال الدال صاداً:**

نَاظَرَ سيبويه بين صورتين من صور الإبدال، وهما (إبدال الصاد زاياً)، و (إبدال الدال صاداً)، الأولى متحقِّقة والثانية غير متحقِّقة، فالأولى ذكر فيها أنَّ العرب الفصحاء يجعلونها زاياً خالصة، واشترط لذلك شرطين، أحدهما: سكون الصاد، والآخر: أنْ يليها الدال بلا حاجزٍ، إذ قال:"وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زاياً خالصة، كما جعلوا الإطباق ذاهباً في الإدغام، وذلك قولك في التصدير: التزدير، وفي الفصد: الفزد، وفي أصدرت: أزدرت، وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجهٍ واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضربٍ واحد، إذ لم يصلوا إلى الإدغام ولم يجسروا على إبدال الدال صاداً، لأنها ليست بزيادة كالتاء في افتعل، والبيان عربيٌّ"(٤٠).

وعلَّة ذلك تقريب الصاد من الدال ليكون العمل من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضربٍ واحدٍ، ولاسيَّما أنَّهم لم يجسروا على الإدغام الذي يستوجب إتباع الثاني الأوَّل(٤١).

ولمَّا لم يكن للدال أنْ تنقلبَ إلى جنس الصاد؛ لأن الصاد صوت، مهموس، رخو، مطبق، وأما الدال فهو صوت مجهور، شديد، منفتح[٤٢]؛ فقد ضُورِعَ بالصاد أشبه الأصوات بالدال فكان الزاي، وهو أكثر موافقةً للدال من الصاد من جهة الجهر والمخرج[٤٣].

وقد امتنع الجسر بإبدال الدال صاداً في هذا الموضع؛ لامتناع الظروف الصوتية المناسبة لتحققه.

**ثالثاً: أغراضه**

لم يحصل الجسر اعتباطاً، بل لأغراض منها:

أ) التخلص من الثقل:

من المعلوم أن أصوات العلَّة هي أكثر الأصوات عُرْضَةً للتغيير، والحذف في الكلمات، ويكثر حذفها إذا وقعت في آخر الكلمة، وحذفها ساكنة أكثر من حذفها متحرِّكة، ورُبَّما كان إسكانها أي حذف الحركة بعدها خطوة نحو حذفها[٤٤].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ أصوات العلَّة تتفاوت في ثقلها، فالواو أثقل من الياء، والألف أخفُّ منهما[٤٥].

ب) عمل اللسان من وجه واحد:

ظهر هذا الأمر واضحاً في تتابع أصوات الكسرة والواو بشكل مباشر، إذ لا يحجز بينهما حاجز، فاجتماعهما يسبب تنافراً؛ لأنَّ الكسرة من الصوائت الأماميَّة التي يرتفع معها مقدَّم اللسان إلى أقصى حدٍّ، والواو صوت شفوي، أي أنَّهُ يُنطقُ من مقدِّمة الفم فيصعبُ على اللسان نطقهما معاً، ففي ذلك جهدٌ عضليٌّ كبيرٌ، لذا تُقلبُ الواو ياءً لمناسبة الكسرة قبلها[٤٦].

جـ) تحقيق الانسجام الصوتي:

إنَّ الأصوات اللغويَّة تتأثر ببعضها، وهي في تأثُّرها تهدف إلى نوع من المماثلة بينها ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات والمخرج، وهذا التأثُّر يُسمَّى بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة[٤٧] .

**رابعاً: أسبابه**

بعد كُلِّ ما تقدَّم يمكن لنا بيان الأسباب التي أدت إلى عملية الجسر ووقوعها في الأصوات الصائتة، إذ يعمد المتكلم إلى إيقاع الظاهرة الصوتية نتيجة لوقوع الظروف المناسبة لتحققها ويتمثَّلُ ذلك بضعف الصوت (سكونه)، وعدم قدرته على الصمود بوجه ما يلاقيه من تغييرات صرفيَّة وصوتيَّة فيؤول إلى الحذف، أو القلب، فالصوت الميِّت (الساكن) لا يدخله الرفع، والنصب، والجر، وهو بذلك ضعيف.

أمَّا الصوتُ الحيُّ (المتحرِّك) فيدخله الرفع، والنصب، والجر، وهو بذلك (قويٌّ)، فما كان ميِّتاً (ساكناً) فإنَّ المتكلم يجسُرُ عليه بالحذف، أو القلب، وما كان حيَّاً (متحرِّكاً) فإنَّ المتكلم لا يجسُرُ عليه،

ويُستثنى من ذلك ما ذكره سيبويه في الواو من قبيل (حوالاً)، إذ جسر المتكلم على الواو بقلبها ياء على الرغم من تحركها، وقد ذكر أن اعتلالها قاد المتكلم إلى الجسر عليها.

والحمدُ لله أوَّلاً وآخراً

**الخاتمة:**

حفل البحث بمجموعة من النتائج تتمثل بما يأتي:

١/ تكاد تجمع الدلالات اللغوية لمصطلح (الجسر) على الإقدام على فعل شيء نتيجة اجتماع الظروف المناسبة لذلك، وهذا الجسر واقع على ما ضعف في ذاته أو موقعه.

٢/ يمكن أن يعرف الجسر اللغوي بأّنه اجتراء المتكلِّم على إجراء تغييرات صوتية خاصة لِتنساب الأصوات بوساطتها في ألفاظها انسياباً عند تحقق الظروف الصوتية المناسبة لها؛ فيعمد إلى حذف بعضها أو قلبها؛ لتحقيق أيسر السبل في الهروب من الثقل إلى الخفّة، والعمل من وجهٍ واحد .

٣/ يأتي صوت الألف في مقدمة الأصوات المجسور عليها سواء بالحذف أم القلب؛ لما اشتمل عليه من صفات ضعيفة كالسكون، والخفاء، والموت، إذ لا تدخله أية حركة من الحركات، وهذا يجعله غير قادر على الصمود بوجه التغيرات الصوتية الطارئة.

٤/ كان سيبويه دقيقاً في إطلاق مصطلحاته، إذ استعمل مصطلح (الميتة الساكنة) على الألف والياء لسكونهما، حين جُسِرَ عليهما بالحذف، واكتفى بذكر مصطلح (الاعتلال) على الواو في (حوالاً ـ وصواماً) حين جُسِرَ عليها بالقلب.

٥/ إنّ الأسباب التي دعت إلى الجسر على الألف، والياء كانت ذاتية تعود إلى الصوت ذاته، إذ اشتملا على صفات ذاتية كالسكون، وهذا ما أدى إلى موتهما، فجُسِرَ عليهما لذلك، وأما الواو فالأسباب فيها موقعية تعود إلى موقعها في بنية الكلمة، فهي على الرغم من تحصنها بالحركة جسر عليها المتكلم، وما ذلك إلا لأنها وقعت بين مصوتين (الكسرة والفتحة)، وهذا يؤدي إلى ضعفها، فضلاً عن أن وقوعها بين مصوتين يترتب عليه ثقل نطقي يفر منه الناطق العربي؛ فيعمد إلى قلبها.

٦/ لم يُجسَر على الأصوات الصامتة بوقوع الظاهرة الصوتية كالإبدال مثلاً، ومن ذلك إبدال الدال صاداً؛ لامتناع الظروف المهيئة لتحقق تلك الظاهرة.

**الهوامش**

١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ١ / ٤٥٧، وينظر: المخصص، ابن سيدة:٢٧٧/١ .
٢) أساس البلاغة، الزمخشري: ١ / ١٣٨، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير:٢٧٢/١.
٣) لسان العرب، ابن منظور: ٤ / ١٣٦، وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي:٤٢٧.
٤) الكتاب: ٣ / ٣٥٥
٥) يُنظر: المصدر نفسه: ٣ / ٤١٤
٦) المصدر نفسه: ٣ / ٣٥٦
٧) المصدر نفسه:٣٥٦/٣ .
٨) يُنظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ١ / ٥٦
٩) يُنظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين: ١٢٥
١٠) يُنظر: أثر القوانين الصوتية، د. فوزي الشايب: ١٢٨
١١) يُنظر: دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر: ١ / ٢٠١
١٢) يُنظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: ٣٩، والمنهج الصوتي للبنية العربية: ١٨، ودراسات في علم اللغة: ١ / ٢٠١ ـ ٢٠٢، وفصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب: ٣٥٤، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد: ٣٢٥
١٣) يُنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٢٥
١٤) نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة، د. جعفر دك الباب: ٦٧
١٥) الكتاب: ٤ / ٣٦٠

١٦) يُنظر: شرح ابن عقيل: ٤ / ٢٢٠
١٧) يُنظر: شرح المفصل: ١٠ / ٦٦
١٨) علم أصوات العربية، د. محمد جواد النوري: ٣٣٥
١٩) يُنظر: التصريف العربي، د. الطيب البكوش: ٦٣ ـ ٦٤
٢٠) الكتاب: ٤ / ٣٦١ ـ ٣٦٢
٢١) يُنظر: النحو الوافي، عباس حسن: ٤ / ٧٧٧
٢٢) يُنظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ٣٧٢
٢٣) يُنظر: موانع الإعلال في العربية، د. علاء صالح عبيد: ٥٠
٢٤) الكتاب: ٤ / ٣٦٠-٣٦١
٢٥) الكتاب: ٤ / ٣٦٠
٢٦) يُنظر: موانع الإعلال في العربية: ٥٠
٢٧) الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب: ٢ / ٤٥٥
٢٨) يُنظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: ١٨٩
٢٩) يُنظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها
٣٠) يُنظر: المزدوج في العربية، د. جواد كاظم عناد: ٩٩
٣١) يُنظر: التعليل الصوتي عند العرب، د. عادل نذير: ٣١٤
٣٢) يُنظر: التعليل الصوتي عند العرب: ٣١٤
٣٣) يُنظر: العربية الفصحى، هنري فليش: ٤١ ـ ٤٢
٣٤) الكتاب: ٣ / ٣٥٦
٣٥) يُنظر: النحو الوافي: ٤ / ٧٢٩
٣٦) الكتاب: ٣ / ٣٣٩
٣٧) شرح المفصل: ٥ / ١٤٦
٣٨) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الاستراباذي: ٢ / ٢٠
٣٩) يُنظر: أثر القوانين الصوتية: ٣٨٧ ـ ٣٨٨
٤٠) الكتاب: ٤ / ٤٧٨
٤١) يُنظر: التعليل الصوتي عند العرب: ٣٦٨
٤٢) يُنظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: ١٨٣، واللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي:١٤٦
٤٣) يُنظر: التعليل الصوتي عند العرب: ٣٦٨
٤٤) يُنظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان الحمودة: ٧٩ ـ ٨٠
٤٥) يُنظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٣ / ٩٢
٤٦) يُنظر: أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية، د. فدوى محمد: ١٤٠
٤٧) يُنظر: الأصوات اللغوية: ١٧٩.

**المصادر والمراجع:**

١. أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د. فدوى محمد حسَّان، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١١ م.

٢. أثر القوانين الصوتيّة في بناء الكلمة العربية، د. فوزي حسن الشايب، ط١، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ٢٠٠٤م.

٣. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ١٩٩٨ م.

٤. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١ م.

٥. الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب أبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس الدوني (ت ٦٤٦ هـ)، تحقيق: د. إبراهيم محمد عبد الله، ط١، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٥ م.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي،( ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: جماعة من المختصين، الناشر: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (١٩٦٥ – ٢٠٠١ م).

٧. ـ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، د. الطيب البكوش، ط١، الشركة التونسية بتونس، ١٩٧٣ م.

٨. التعليل الصوتي عند العرب، د. عادل نذير بيري، ط ١، ديوان الوقف السني . بغداد، ٢٠٠٩ م.

٩. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ط ٢، دار عمار، عمان، الأردن، ٢٠٠٧ م.

١٠. دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ط ١، عالم الكتاب، القاهرة، ١٩٩٧ م.

١١. دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، ط ١، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩ م.

١٢. سيبويه إمام النحاة، د. علي النجدي ناصف، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٩ م.

١٣. شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩ هـ)، على ألفيّة ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١، منشورات آسيانا، قلم، ١٣٨٤ هـ.

١٤. شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب (ت ١٠٩٣ هـ)، نجم الدين محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، (ت ٦٨٦هـ)، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٩٨٢ م.

١٥. شرح المفصّل للشيخ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ هـ)، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

١٦. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان الحمودة، ط ١، الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨ م.

١٧. العربية الفصحى؛ نحو بناء لغوي جديد، د. هنري فليش، تعريب وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين، ط ٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣ م.

١٨. علم أصوات العربية، د. محمد جواد النوري، ط ١، مطبوعات جامعة القدس المفتوحة، عمّان، ١٩٩٧ م.

١٩. علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر، ط٤، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥ م.

٢٠. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط ١، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠ . ١٩٨٤ م.

٢١. فصول في فقه اللغة العربية، د. رمضان عبد التواب، ط ١، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ١٩٧٣ م.

٢٢. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨ م.

٢٣. لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١ هـ)، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، (د. ت).

٢٤. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، ط ١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٦ م.

٢٥. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

٢٦. المدخل إلى علم اللغة ومنهاج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ط٣، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٧ م.

٢٧. المزدوج في العربية (المفهوم، المصاديق، التحولات)، د. جواد كاظم عناد، ط ١، دار تموز، دار رند، دمشق، سوريا، ٢٠١١ م.

٢٨. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٢٩. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

٣٠. موانع الإعلال في العربية، دراسة صوتية صرفيّة، د. علاء صالح عبيد حسين، ط ١، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٧ م.

٣١. المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٠ م.

٣٢. نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة، د. جعفر دك الباب، ط ١، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٨٩ م.

٣٣. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط ١٥، (د. ت).

٣٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط/١،المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .